

الحسد آثاره وعلاجه في ضوء القرآن الكريم

د. سميرة محمود المدني*

مقدمة:

الحمد لله الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله والصلاة والسلام على خير العباد وصفوته من خلقه وخاتم رسله محمد بن عبدالله الذي نقى الله تعالى قلبه من الحقد والحسد، وطهره من الشرك والنفاق وسوء الأخلاق، وعلى آله وصحبه الذين ساروا على نهجه واستنوا بسنته وتخلقوا بأخلاقه الكريمة الفاضلة ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وعنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

وبعد:

فإن موضوع الحسد من الموضوعات القديمة المتجددة لأنه لا يمر على الناس زمان إلا ونجد هذا الداء العضال ينتشر بينهم ويشمل ذلك كل طبقات المجتمع ولا يسلم منه إلا من رحمه الله تعالى، فلذلك نجده ينتشر بين الطبقات المتعلمة والراقية وبين من لم ينالوا حظاً من العلم والمعرفة، ولهذا كان هذا البحث الذي تناولت فيه الحسد بالدراسة والتفصيل وذلك لتنبية الناس على خطورته والعمل على الوقاية منه.

أسباب اختيار الموضوع:

1) الحسد مرض قديم يتسرب إلى الإنسان بدون مقدمات.

* كلية أصول الدين.

(2) الحسد من أمراض القلوب وهو من الآثام الخفية وقد حذرنا الله

تعالى منها وهو من الفواحش، قال تعالى:

(3) (وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ)⁽¹⁾. وقال تعالى:

(قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ...
الآية)⁽²⁾. وهذه الآية عامة وكذلك آية سورة الأنعام، ولهذا قال
جل شأنه في سورة الأنعام (إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا
كَانُوا يَقْتَرِفُونَ) سواء كان ظاهراً أو خفياً، فإن الله سيجزيهم
عليه، أي أنه لا بد من أن سيجازي مرتكبي المعاصي على
عصيانهم إذا ماتوا ولم يتوبوا، ومن أجل ذلك قال تعالى في
محكم تنزيله: (وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ)، أي أتركوا جميع المعاصي
والمحرمات، ما أعلنتم وما أسررتم قليله وكثيره، سواء ما تعلق
بأفعال الجوارح والأعضاء، كالزنى مع البغايا وأفعال القلوب
كالحقد والحسد والكبر)⁽³⁾.

(4) بيان أسباب الحسد وكيفية الوقاية منها.

(5) علاج الحسد في ضوء القرآن والسنة.

(1) سورة الأنعام الآية 120.

(2) سورة الأعراف الآية 32.

(3) انظر التفسير المنير، وهبة الزحيلي، 370/4.

خطة البحث:

المبحث الأول: الحسد لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: الحسد والغبطة والعلاقة بينهما.

المبحث الثالث: الحسد في القرآن الكريم.

المبحث الرابع: الحسد من أمراض القلوب

المبحث الخامس: علاج الحسد في ضوء القرآن الكريم.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج

المبحث الأول الحسد لغة واصطلاحاً

الحسد لغة:

جاء في لسان العرب: الحسد أن تتمنى زوال نعمة المحسود إليك، والحسد معروف، يقال: حسده يحسد حسداً وحسده إذا تمنى أن تتحول إليه نعماء وفضيلته أو يسلبها هو، وقيل الحسد: أن يرى الرجل لأخيه نعمة فيتمنى أو تزول عنه وتكون دونه⁽¹⁾.

والحسد في الشرع والاصطلاح لا يختلف عن معناه في اللغة، فمداره على تمنى زوال نعمة الغير وتحولها إلى الحاسد دون المحسود. قال القرطبي⁽²⁾: (الحسد نوعان، مذموم ومحمود، فالمذموم أن تتمنى زوال نعمة الله من أخيك المسلم، وسواء تمنيت مع ذلك أن تعود إليك أو لا، وهذا النوع ذمه الله تعالى في كتابه بقوله: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ... الآية)⁽³⁾.

وإنما كان مذموماً لأن فيه معارضة للحق سبحانه وتعالى، وأنه أنعم على من لا يستحق، وأما المحمود فهو ما جاء في الحديث عن أبي

(1) لسان العرب، ابن منظور 149/3.

(2) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، المالكي أبو عبد الله القرطبي، مصنف التفسير المشهور الذي سارت به الركبان، كان من عباد الله الصالحين والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا، قال الذهبي: إمام، متقن، متبحر في العلم، مات سنة إحدى وسبعين وستمائة. انظر طبقات المفسرين، الداودي 65/2.

(3) سورة النساء الآية 54.

هريرة أن رسول الله ﷺ (لاحسد إلفي اثنتين رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار فسمعه جاره فقال ليتني أوتيت مثلما أوتيت فلان فعملت مثلما يعمل ورجل آتاه الله مالا فهو يهلكه في الحق فقال رجل ليتني أوتيت مثلما أوتيت فلان فعملت مثلما يعمل)⁽¹⁾، وهذا الحديث معناه الغبطة وحقيقتها أن تتمنى أن يكون لك ما لأخيك المسلم من الخير والنعمة ولا يزول عنه خيره وقد يجوز أن يسمى هذا منافسة ومنه قوله تعالى: (خَتَامُ مِسْكٍ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ)⁽²⁾⁽³⁾.

وبعض العلماء يعمم المعنى فيقول هو تمنى زوال النعمة عن الغير، سواء تمنى تحولها إليه دون المحسود أم لم يتمنى ذلك، وعلق بعضهم على هذا التعميم بقولهم: (وهذا التعميم جيد ومطلوب لأن الذي يتمنى زوال نعمة الغير وانتقالها إلى نفسه له بعض العذر وهو الحرص على مصلحة نفسه، أما الذي يتمنى زوال نعمة الغير وهو لا يريد لها لنفسه فلا عذر له البتة، وهو بذلك أعظم جريمة من الذي يتمناها لنفسه)⁽⁴⁾.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، 69 كتاب الفضائل، باب اغتباط صاحب القرآن،

1919/4، حديث رقم 4738.

(2) سورة المطففين الآية 26.

(3) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي 241/5.

(4) مجلة مركز بحوث السنة والسير، جامعة قطر، العدد الخامس، 1991م، ص

ويعلل ابن حجر⁽¹⁾ هذه الطبيعة بقوله: (إن الطباع مجبولة على حب الترفع على الجنس، أي على أفراد الجنس فإذا رأى لغيره ما ليس له أحب أن يزول ذلك عنه أما لينتقل إليه فيرتفع عليه أو ليزول عنه ولو لم ينتقل إليه ليساويه)⁽²⁾.

والحسد في تعريف أهل اللغة وعلماء الشرع كأنه قاصر على تمنى زوال نعمة الغير، ويشمل الفرح لزوال نعمة الغير، والارتياح لوقوع المصائب بالناس وهذا أشد قسوة من الذي تمنى زوالها، لأنه قد يتمنى في لحظة ثم يشفق ويتألم إذا حصل المصائب، أما الذي فرح بزوال النعمة أو بوقوع المصائب فهو قاسي القلب خالي من المشاعر والمشاركة الوجدانية، وعدم إحساسه بألم الآخرين قد يبعد عنه خاصية الإيمان وخلق الإيمان التي أمرت بالتعاطف كما في الحديث الصحيح: (تري المؤمنين في تواددهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضواً تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمي)⁽³⁾.

ومن أنواع الحسد الحزن لحصول المؤمن على نعمة وخير، والذي يحزن إذا حدث للمؤمن ما يفرحه ويسعده فهو حاسد كأنه كان

(1) هو أحمد بن علي بن حجر الكناني العسقلاني، إمام حجة عالم بالحديث والفقه، له شرح على صحيح البخاري، سماه فتح الباري، وله العديد من المؤلفات، مات سنة اثنين وخمسين وثمانمائة. انظر لسان الميزان، ابن حجر، الخاتمة، 536/7 وما بعدها.

(2) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر 200/1.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، 81 كتاب الأدب، 27- باب رحمة الناس والبهائم 228/5.

يُتَمَنَّى عَدَمَ حَصُولِهَا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: (إِنْ تَمَسَسْتُمْ حَسَنَةً تَسْؤُهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ)⁽¹⁾. وأيضاً تمنى عدم حصول النعمة يساوي تمنى زوالها بعد حصولها.

(1) سورة آل عمران الآية 120.

المبحث الثاني

الحسد والغبطة والعلاقة بينهما

الحسد والغبطة يشتركان في بعض الأمور إلا أنهما يختلفان.

فالغبطة في اللغة: أن يتمنى أن يكون له مثلها ولا يتمنى زوالها.

يقول ابن حجر: (والغبطة أن يتمنى أن يكون له مثل ما لغيره

من غير أن يزول عنه، والحرص على هذا يسمى منافسة، فإن كان في

الطاعة فهو محمود ومنه قوله تعالى:

(وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ)⁽¹⁾. وإن كان في معصية فهو مذموم

ومنه كما ورد في الحديث (ولا تنافسوا)⁽²⁾. وإن كان من الجائزات فهو

مباح.

وقد يطلق لفظ الحسد على الغبطة مجازاً كما في الحديث لا حسد

إلا في اثنين: (رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار

فسمعه جار له فقال ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان ...) ⁽³⁾.

والمراد من الحسد في الحديث الغبطة لأن كلا الرجلين تمنى

مثل ما لصاحبه ولم يتمنى زوال النعمة عن صاحبها.

(1) سورة المطففين الآية 26.

(2) صحيح مسلم، 45 - كتاب البر والصلة والآداب، 9- باب تحريم الظن

والتجسس والتنافس 1985/4، حديث رقم 2563.

(3) فتح الباري شرح صحيح البخاري 201/1.

والإنسان مجبول على حب الخير والاستزادة فيه، ومجبول على النظر إلى ما عند الغير، ومن ذلك يكون النظر إلى نعم الغير على مراتب:

المرتبة الأولى: أن ينظر إلى ما عند الغير من نعمة دنيوية فلا يتمنى زوالها بل يفرح ويُسِر لها، ويتمنى لصاحبها المزيد، ويعمل على تكثيرها وهذه الحالة كثيرة الوقوع من الآباء بالنسبة للأبناء، لأن الإنسان بطبيعته لا يحب أن يعلو عليه أحد، إلا أن يكون أبناً له، وقد تقع نادراً عند المتحابين حباً صافياً، ولو أنها مطلوبة شرعاً من المؤمن للمؤمن قال النبي ﷺ: (والذي نفسي بيده لا يؤمن عبداً "أي إيماناً كاملاً" حتى يحب لأخيه ما يجب لنفسه)⁽¹⁾.

وحتى يتحقق هذا الخلق والحب لابد للمؤمن أن يفرح بنعمة أخيه المؤمن ويتمنى له المزيد كما يتمنى لنفسه، بل قال بعض العلماء أن ظاهر الحديث يدل على طلب المساواة، وحقيقة تستلزم التفضيل، لأن كل أحد يحب أن يكون أفضل من غيره، فإذا أحب لأخيه أن يكون أفضل من غيره فقد دخل في جملة المفضلين وفصل أخاه على نفسه، وهذا يدخل في مسمى الإيثار الذي مدح الله تعالى به الأنصار وأصحاب النبي ﷺ الذين اشتهروا بذلك، وخاصة ما قام به الأنصار تجاه المهاجرين فأنزل الله تعالى قوله: (وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا

(1) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه 14/1، حديث رقم 13. (بلفظه).

وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ⁽¹⁾.

وقيل من كمال الإيمان أيضاً أن يبغض لأخيه ما يبغض لنفسه من الشر ولم يذكره في الحديث لأن حب الشيء مستلزم لبغض نقيضه غالباً، فترك الحب عليه اكتفاء والله أعلم.
وقال ابن حجر: (ولا يتم ذلك إلا بترك الحسد والغل والحدق والغش وكلها خصال مذمومة)⁽²⁾.

الثانية: النظر إلى ما عند الغير من نعمة أخروية، من حيث طاعته لله تعالى ووقوفه عند حدود الله، فيتمنى لنفسه أن يكون له مثل هذا الطائع ولا يتمنى زوالها منه فهذه غبطة محمودة كما تقدم.
ولكن يجب على المسلم أن يسعى ليحصل على هذه النعمة ولا يقتصر عند دائرة التمني، وترك الأخذ بالأسباب فهو عجز وتواكل نهى عنه دين الإسلام وذنمه النبي ﷺ.

(1) سورة الحشر الآية 9.

(2) فتح الباري، كتاب الإيمان 74/2.

قال ﷺ: (استعن بالله ولا تعجز)⁽¹⁾. وقال ﷺ: (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني)⁽²⁾.

الثالثة: أن ينظر إلى نعمة الغير الدنيوية، فلا يتمنى زوالها ولا يعمل على إزالتها عنه ولا على تحويلها لنفسه بقوله ولا فعله، ولا يتمنى زيادتها لأخيه، وإنما يتمنى مثلها أو أحسن منها لنفسه، ويجتهد ويعمل على تحصيل مثلها أو أحسن منها بالطريق المشروع، هذا مباح وقد يكون مطلوب شرعاً لأنه أساس عمارة الأرض التي استخلفنا فيها وأمرنا بأعمارها والسعي فيها، وهذا النوع من أسباب تقدم الإنسانية ورقياً وحضارتها، هذا في النعمة المحققة عند صاحبها بالفعل، أما النعمة المهيأة لأكثر من واحد كوظيفة يصلح لها مؤهلون فالتنافس عليها بالوسائل الشرعية مباح ولكن الإيثار أولى، والتنافس المشروع هو الذي لا يؤدي إلى التباغض والتدابير الذي نهى عنه الشرع، قال ﷺ: (ياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً)⁽³⁾. وقد أخبرنا عن هذا الزمان وما يكون فيه بقوله: (إذا فتحت عليكم فارس والروم أي قوم أنتم؟ قال عبد الرحمن بن عوف: نقول كما أمرنا الله، أي نحمده ونشكره

(1) مسلم في صحيحه، 46- كتاب القدر، 8- باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله 4/2025، حديث رقم 446/2.

(2) أخرجه الترمذي صفة القيامة والرفاق والورع، 4/368، حديث رقم 2459.

(3) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التدابر والتحاسد 8/25.

ونسأله المزيد من فضله، قال رسول الله ﷺ أو غير ذلك؟ تنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون⁽¹⁾.

وهذه الحالات المتقدمة ليست من الحسد الحقيقي المنهي عندنا شرعاً، بل تدخل في باب الغبطة المشروعة وبعضها أعلى من بعض، قال العلماء: التنافس إلى الشيء المسابقة إليه، وكراهة أخذ غيرك إياه، وهو أول درجات الحسد.

والحالة الرابعة أن ينظر إلى ما عند الغير من النعم الدنيوية فيتمنى زوالها عن صاحبها سواء تمنى انتقالها إليه وهذا هو الحسد الحقيقي المنهي عنه والمدمر لصاحبه.

الخامسة: أن ينظر إلى نعمة الغير الأخروية من طاعة وعبادة واستقامة فيتمنى زوالها عن صاحبها سواء تمنّاها لنفسه أم لا، فإن استهان بها وسخر من صاحبها فقد اكتسب فوق إثم الحسد بغياً وبهتاناً وإثماً عظيماً، وقد كثرت هذه الحالة في زماننا وتفشّت وأخذت صورة مختلفة بظهور الفرق والجماعات والمذاهب، فبعض الناس ينظرون إلى العابد الصالح فيستهزئون به ويسخرون منه، لأنه لا يتبع إليهم أو يخالفهم في بعض المسائل، وقد يسألونه الدعاء إذا قابلهم ثم يضحكون ويغتابونه من خلفه وهؤلاء قال تعالى فيهم: (إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ {29} وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ {30} وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ {31} وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ {32} وَمَا أَرْسَلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ {33} فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ

(1) أخرجه مسلم كتاب الزهد والرفاق، 4/2274، حديث رقم 2962.

يَضْحَكُونَ {34} عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ {35} هَلْ تُؤِثُّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا
يَفْعَلُونَ {36} (1)(2).

الحسد كالظن، يستطيع صاحبه أن يحاربه فيوقفه عند دائرة التمني، وقد يخرج به عن دائرة التمني إلى ساحة الحقد الداخلي والبغضاء وقد يدفع صاحبه إلى ميدان القول والعمل الخارجي لإزالة النعمة، فيقع في الغي والفسوق والعصيان، وكذلك الظن السيء قد يحاربه صاحبه ويوقفه عند دائرة الخواطر النفسية، وقد يخرج صاحبه إلى مرحلة التحسس والتجسس وتتبع السوءات والوقوع في أعراض المسلمين، والحسد في دائرة التمني يقع في مرحلتين:

مرحلة الخواطر النفسية الطارئة المتغيرة وهذه لا يسلم منها أحد، وقد علم الله أحوال البشر ونفوسهم فعفا عنها وأوجب على صاحبها دفعها ومحاربتها، كما أمر بمحاربة طبعه في حب الشهوات قبل دخوله في دائرة أمراض القلوب.

المرحلة الثانية هي مرحلة الثبوت والاستقرار في النفس تماماً كالظن السيء وهذا الحسد المذموم المحرم لأنه وإن لم يضر المحسود يقع الضرر على الحاسد نفسه فيكون مكتوباً بنار كراهية حب النعمة للغير.

(1) سورة المطففين الآيات 29-39.

(2) انظر إحياء علوم الدين، الغزالي، 391/3، مجلة بحوث السنة والسيرة، ص

المبحث الثالث

الحسد في القرآن الكريم

ورد لفظ الحسد في القرآن الكريم في أربع سور، في سورة البقرة في قوله تعالى: (وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتُوا وَاصْصَبُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)⁽¹⁾.

(كان كثير من اليهود بعد كفرهم بالرسول ﷺ والكيد له ونقض العهود حسداً له ولقومه يودون ويتمنون أن يردد المسلمون الذين آمنوا بالنبي أن يعودوا كفاراً، وهذا التمني وتلك الرغبة بسبب الحسد الكامن والداء الباطل في أنفسهم، لا ميلاً مع الحق ولا رغبة فيه، بل هذا التمني بعد ما ظهر لهم أن الدين الإسلامي هو الدين الصحيح، فأعفوا عنهم أيها المسلمون، ولا تلموهم على مقالهم واصبروا حتى يأذن الله بالقتال، ويأتي أمره فيهم وهو قتل بني قريظة وأجلاء بني النضير وإجلاتهم والله على كل شيء قدير)⁽²⁾.

ولا شك أن الإسلام نعمة وحق، حتى في نظر أحبار اليهود بل أعظم نعمة، أنعم الله بها على الخلق، ودوا اليهود وتمنوا أن يردوا المسلمين إلى الكفر، فوصف الله تعالى هذا التمني والودادة بالحسد، لأنهم لم يفعلوا ذلك جهلاً بالإسلام، بل بعد علمهم بأنه نعمة فتمنوا زوال هذه النعمة عن المسلمين، فهذا حسد مذموم أساسه النظر إلى ما عند الغير من نعمة أخروية وتمني زوالها من أصحابها.

(1) سورة البقرة الآية 109.

(2) انظر التفسير الواضح، محمد محمود حجازي، دار الجيل 62/1.

وورد لفظ الحسد في سورة النساء، قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا {51} أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا {52} أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا {53} أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا {54})⁽¹⁾.

ورد في سبب نزول هذه الآية:

(أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ... الآية) عن ابن عباس قال: (إنه قال أهل الكتاب: زعم محمد أنه أوتي ما أوتي في تواضع وله تسع نسوة وليس همه إلا النكاح، فأبي ملك أفضل من هذا، فأنزل الله تعالى: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ...) وأخبر عز وجل أنهم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله، والمراد بالناس في رأي ابن عباس ومجاهد وغيرهما: أن النبي ﷺ، حسدوه على النبوة كما حسدوا أصحابه على الإيمان به، وقيل لأن النبوة فيهم، والبخل والحسد أسوأ أخلاق اليهود، وأخبرنا الله تعالى بهاتين الصفتين الذميتين، والحسد مذموم، وصاحبه معوم، وهو "يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب"⁽²⁾.

قال الحسين: (ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من حاسده، نفس دائم وحزن لازم وغيره، لا تنفذ)، وقال ابن مسعود: (لا تعادوا نعم الله، قيل

(1) سورة النساء الآيات 51-54.

(2) أبو داود في سننه، كتاب الآداب، باب في الحسد، 693/2، حديث رقم 4903.

له: ومن يعادي نعم الله؟ قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله، والحسد أول معصية عصي الله بها في السماء وفي الأرض، فأما في السماء فحسد إبليس لآدم، وأما في الأرض فحسد قابيل لهابيل⁽¹⁾، وقد أحسن من قال:

أصبر على حسد الحسود فإن صبر قاتله
فالنار تأكل بعضها إن لم تجد من تأكله

وكذلك ورد لفظ الحسد في سور الفتح: (سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لِنَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يُفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا)⁽²⁾.

يقول تعالى مخبراً عن الأعراب الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في عمرة الحديبية ثم يسألون أن يخرجوا معهم إلى المغنم وقد تخلفوا عن وقت محاربة الأعداء ومجادلتهم ومصابرتهم، فأمر الله تعالى رسوله ﷺ أن لا يأذن لهم في ذلك معاقبة لهم من جنس ذنبهم، فإن الله تعالى وعد أهل الحديبية بمغانم خيبر وحدهم لا يشاركهم فيها غيرهم من الأعراب المتخلفين، فأخبرهم النبي ﷺ أنه لم يتبعوهم لأن الله قد حكم بذلك، فأخبره الله تعالى أنهم سيقولون ليس هذا حكم الله، بل أنتم

(1) انظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مؤسسة مناهل العرفان 251/5، التفسير المنير، وهبة الزحيلي، دار الفكر 21/3. وانظر تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، دار الفجر للتراث 2/1.

(2) سورة الفتح الآية 15.

تمنعونا مشاركتكم الغنائم، بل تحسدوننا وتتمنون عدم وصول النعمة إلينا، فأطلق المخلفون (الحسد) على إرادة عدم وصول النعمة، وهذا معروف من أنواع الحسد بالحرص على عدم وصول الخير للناس، لأن الرغبة في عدم وصول النعمة أو حصولها يساوي تمنى زوالها، فبين الله تعالى أن الأمر ليس كما زعموا، ولكن لا فهم لهم فرد الله تعالى هذا الاتهام بأن المخلفون لا يفقهون في اتهامهم إلا قليلاً، لأن المنع ليس بسبب الحصول على النعمة فقط، وإنما الخوف من أن يخذلوا المسلمين بفرارهم من ساحة القتال عند الشدة⁽¹⁾، ولذلك عقد الله تعالى لهم اختيار آخر بقوله: (قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)⁽²⁾.

أما الموضع الرابع الذي ورد فيه لفظ الحسد صراحة في القرآن الكريم في سورة الفلق، قال تعالى: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ {1} مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ {2} وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ {3} وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ {4} وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ {5})⁽³⁾.

(1) انظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار المعرفة 204/4. مجلة مركز
بحوث السنة والسيرة، جامعة قطر، العدد الخامس 1410 هـ - 1996 م، ص 43.

(2) سورة الفتح الآية 16.

(3) سورة الفلق الآيات 1-5.

في هذه السورة الكريمة يُعظم الله تعالى رسوله ﷺ والمؤمنين أن يستعيدوا أي (أَعُوذُ) الجأ والوذ واعتصم أي يطلبوا العون والحماية بالله رب المخلوقات رب الصبح، لأن الليل ينفلق عنه، ورب الحب والنوى، وفالق الأصباح، وهذا يشمل جميع ما خلق الله تعالى ومن شر الحواسد اللاتي يستعن على سحرهنّ بالنفث في العقد التي يعقدونها على السحر، (وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) إذا أظهر حسده وأبان عما في نفسه من تنمي زوال النعمة، وعمل على تحقيق معناه، فقال وعمل، وقيل الحاسد لا يضر المحسود إلا إذا أظهر حسده بفعل أو قول، وذلك بأن يحمل الحسد بإيقاع الشر بالمحسود، فيتتبع مساوئه، ويطلب عثراته، ويدخل في الحاسد العاين، لأنه لا تصدر العين إلا من حاسد شرير الطبع خبيث النفس، والعاين في الأصل الجارحة المعروفة بالأبصار، والمراد من هذه التسمية تأثر النعمة هلاكاً أو تعقياً عند إصابتها بهذه الجارحة، فاطلق الإصابة عن طريق الاستحسان، وإن لم يكن إدراك حسنهما بالعين، فالأعمى مثلاً قد يتحسس الأشياء باللمس، فيوجه إليها نفسه الخبيثة المؤثرة فتصاب، وكذلك الشم والذوق والسمع، وإنما اختيرت العين لأنها أهم الوسائل وأكثرها استعمالاً في هذا المجال، قال ﷺ: (العين حق)⁽¹⁾.

قال ابن حجر: (الإصابة بالعين شيء ثابت موجود)⁽²⁾.

(1) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب العين حق، 2167/5، حديث رقم 5408.

(2) فتح الباري شرح صحيح البخاري 325/2.

وقد خاف سيدنا يعقوب على أولاده من العين فقال لهم لما عزموا الخروج إلى مصر فأمرهم ألا يدخلوا من باب واحد، قال تعالى: (وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ)⁽¹⁾. إنما خاف عليهم العين لكونهم أحد عشر رجلاً لرجل واحد، وكانوا أهل جمال وكمال وبسيطة، والعين حق، وقد قال رسول الله ﷺ: (إن العين لتدخل القبر والجمال القدر)⁽²⁾.

ومن تعوده: (أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة)، ما يدل على ذلك وأنه دليل على التحرز من العين، وكذلك قول النبي ﷺ في شأن عامر (اغسل أبي سهل بن حنيف بالخرار فنزع جبة كانت عليه وعامر بن ربيعة ينظر قال: وكان سهل رجلاً أبيض حسن الجلد قال: فقال عامر بن ربيعة مارأيت كالليوم ولا جلد عذراء، فوعك سهل مكانه واشتد وعكه فأتى رسول الله ﷺ فأخبره أن سهلاً وعك وأنه غير رائج معك يا رسول الله فأتاه رسولاً الله ﷺ فأخبره سهل بالذي كان من شأن عامر بن ربيعة فقال رسول الله ﷺ: "علام يقتل أحدكم أخاه؟ إلا بركت إن العين حق توضع له فتوضع له عامر فراح سهل مع رسول الله ﷺ ليس به بأس)⁽³⁾.

(1) سورة يوسف الآية 67.

(2) انظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي 226/9.

(3) صحيح ابن حبان، كتاب الفرائض، باب الرقي والتمايم، 469/13، حديث رقم 6105.

فالواجب على كل مسلم أعجبه شيء أن يبارك فإنه إذا دعا بالبركة صرف المحذور لا محالة، والتبريك أن يقول: (تبارك الله أحسن الخالقين اللهم بارك له)⁽¹⁾.

ومما تقدم في هذه الآيات التي ورد فيها لفظ الحسد في القرآن الكريم، يتضح أن للحسد حقيقة موجودة في طبائع البشر، وليس هو نسج الخيال كما يعتقد البعض، وأنه له آثار على الحاسد والمحسود، فقد حسد هابيل قابيل حين قربا قرباناً إلى الله فتقبل من قابيل ولم يتقبل من هابيل، فحسده وهدده بالقتل فذكره أخوه بأن الله يتقبل من المتقين فأعماه الحسد وقتل أخاه فأصبح من الخاسرين، فقصَّ الله تعالى علينا قصتهما للظة والعبرة، قال تعالى: (وَأَنزَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ {27} لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لَنَفْتَنَنَّيَ مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدَيَّ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ {28} إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ {29} فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ {30})⁽²⁾.

ومن قبلهما حسد إبليس آدم عليه السلام على نعمة تكريم الله لآدم، وسعى وعمل على إزالة النعمة ولم يكتفي بالتمني، وإنما وسوس ووعد فأزلهم كما قال تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا

(1) انظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي 226/9.

(2) سورة المائدة الآيات 27-30.

إِبْلِيسَ قَالَ أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً {61} قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَنْ أُوخِّرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَهْتَكُنْ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً {62} (1).

وحسد يوسف وأخوه، حسدهما اخوتهما على نعمة حب أبيهما لهما، قال تعالى: (إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ {8} اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ {9} قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ {10}) (2).

(قيل للحسن أيسد المؤمن؟ قال: ما أنساك بني يعقوب، ولهذا قيل الأب جلاب والأخ سلاب، قال الثعلبي: (لما بلغت الرؤيا أخوة يوسف حسدوه فعند ذلك أجمعوا على التفريق بينه وبين والده بضرب من الاحتيال) (3).

(1) سورة الإسراء الآيتان 61-62.

(2) سورة يوسف الآيات 8-10.

(3) انظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي 130/9، 138.

المبحث الرابع الحسد من أمراض القلوب

(والمرض مصدر للقول مرض يمرض ويراد به السقم الذي يصيب الإنسان، فيخرج به عن حد الصحة والاعتدال، وسواء أكانت تلك العلة جسمية أو نفسية، حسية أو معنوية، بدنية أو قلبية، وأصل المرض في اللغة يدور حول معاني الضعف والفتور والنقصان والفساد والظلمة)⁽¹⁾.

ومرض القلب بمطلوله الإيماني الشرعي لا يخرج عن هذه الدائرة اللغوية، يقول الغزالي⁽²⁾: (أعلم أن كل عضو من أعضاء البدن خلق لفعل خاص به، وإنما مرضه أن يتعذر عليه الذي خلق له حتى لا يصدر منه أصلاً، أو يصدر منه مع نوع من الاضطراب، فمرض اليد أن يتعذر عليها البطش، ومرض العين أن يتعذر عليها الإبصار، وكذلك مرض القلب أن يتعذر عليه فعله الخاص به، الذي خلق لأجله، وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله تعالى وعبادته)⁽³⁾.

فإذا اعتل قلب المؤمن وأصيب بداء الحسد وخرج بما يحتويه عن دائرة القلب الصحيح السليم، ودخل في دائرة القلب المريض الذي

(1) انظر معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ص 944. والمفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص 449.

(2) هو أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي، حجة الإسلام، ولد في الطابران بين طوس وخراسان سنة خمسين وأربعمائة ومات سنة خمس وخمسمائة، من آثاره: "إحياء علوم الدين". انظر هدية العارفين، 2/79. وسير أعلام النبلاء 322/19.

(3) إحياء علوم الدين، الغزالي، المكتبة العصرية، بيروت، 3/83.

غزته الشبهات والشهوات حتى يشغله عن حب الله ورسوله، فأصبح فاسداً.

يقول ابن القيم⁽¹⁾ في تعريفه للقلب المريض: (إنه قلب له حياة وبه علة، فله مادتان تمده هذه مرة وهذه أخرى، وهو لما غلب عليه منهما، ففيه من محبة الله تعالى والإيمان به والإخلاص له، والتوكل عليه، ما هو مادة حياته، وفيه من محبة الشهوات وإيثارها، والحرص على تحصيلها، والحسد والكبر ما هو مادة هلاكه وعطبه)⁽²⁾. والقلب المريض إن غلب عليه مرضه التحق بالميت الفاسي وإن غلبت عليه صحته التحق بالسليم.

وأساس مرض الحسد الجهل وقصور العلم بالحق تعالى، وهو اتجاه نفسي إلى تقديم الرأي على نصوص الشرع، لأن الحاسد كالمسخط على قضاء الله والمعترض عليه في حكمته، لذلك حذر الشرع منه، قال ﷺ: (الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب)⁽³⁾.

فقد تبين مما سبق أن الحسد من أمراض القلوب الخطيرة، وهو مقصور على دائرتها، داخل في محيطها، فإذا تخطى تأثيره هذه الدائرة

(١) هو: محمد بن أبي بكر بن سعد الزرعي، شمس الدين، من أهل دمشق، من أركان الفصاح في الإسلام وأحد كبار الفقهاء، تتلمذ على ابن تيمية وانتصر له، ولم يخرج عن شيء من أقواله، وقد سجن معه بدمشق، كتب بخطه كثيراً وألف كثيراً، من مؤلفاته: "الطرق الحكمية"، "مفتاح دار السعادة"، "مدارج السالكين". (الزركلي، الأعلام 281/6، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني 400/3).

(2) إغاثة اللفهان، ابن القيم، دار ابن الجوزي 45/1.

(3) سبق تخريجه.

بالقول، أو بالفعل أو بالسعي إلى إزالة النعمة عن الغير بأية وسيلة من الوسائل سمي بغياً، وكذلك إذا تخطي الفرح لزوال نعمة الغير دائرة القلب فظهرت على وجهه وجوارحه الشماتة وأعرض عن المشاركة والمواساة فهو باغٍ.

ومن أسباب مرض الحسد حب الإنسان لذاته وحرصه على جلب الخير لها ودفع الضرر عنها، وتحقيق ما يمكن الكمال لها، ثم ينشأ عن ذلك الحسد للناس، وذلك بالتقاء شهوة حب النفس مع شهوة حب الجاه والشهرة بين الناس حتى يتمنى ألا يعلو عليه أحد ولا يساويه.

والإسلام لا يجابه هذه الرغبات والغرائز بالمنع والكبت، وإنما ينظمها لتيسر في طريق مأمون يحقق السادة، ويوصل إلى تركية النفس وتخليقها بالأخلاق الفاضلة.

المبحث الخامس

علاج الحسد في ضوء القرآن الكريم

الحسد مرض من أمراض القلب، وهذا القلب إذا لم يتعهده صاحبه بذكر الله تعالى ومراقبته ودوام الخشية منه فسرعان ما يتسرب إليه داء الحسد، لأن الإنسان مجبول على حب الخير لنفسه ولا يتمنى أن يصير أحد أفضل منه، فإذا تغلغل هذا الداء في القلب وتفشى هذا المرض يضعف الإيمان فيه، فإذا لم يتداركه الإنسان فإن القلب يقسو حتى يُغلق ويطمس ويثقل، ويطلع عليه ويزيغ عن الحق، ثم يموت، وهو من أسوأ الحالات لأنها تنتقل صاحبها من الإيمان إلى الكفر، وتجعله في مرتبة البهائم، قال تعالى: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)⁽¹⁾. وقال تعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُوذُّونَنِي وَقَدْ تَعَلَّمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)⁽²⁾. وقال تعالى: (خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)⁽³⁾.

فإذا كان الحسد يبلغ الإنسان إلى هذه المراحل فيجب على الإنسان أن يسعى في معالجة هذا المرض، وإتباع توجيهات الشرع وتقوية إيمانه بأن المالك الحقيقي المتصرف في كونه بحكمة وزرع أرزاقه بعلمه وحكمته حتى يكون لا يشك في عدالة المولى تعالى

(1) سورة الحج الآية 46.

(2) سورة الصف الآية 5.

(3) سورة البقرة الآية 7.

ويحدث نفسه بأن المنعم على المحسود هو الله تعالى، اختار له الامتحان بهذه النعمة، لأن الله تعالى أخبرنا بأن الشر لذي يصيب الإنسان هو ابتلاء والخير الذي يصيبه أيضاً ابتلاء، قال تعالى: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ)⁽¹⁾. وقد فضل الله تعالى الناس بعضهم على بعض في الأرزاق والنجاح والصحة والعافية لسابق علمه الأزلي بما يتناسب مع كل إنسان ثم يجعل لذلك أسباب من السعي والاجتهاد حتى يتحقق أمره بأعمار الأرض والسعي في استخراج الأرزاق منها، (انظرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً)⁽²⁾.

وليعلم الحاسد الباغي أنه لن يضر المحسود إلا شيء قد كتبه الله عليه وأن عاقبة الحسد الخسران، وأن من حفر بئراً لأخيه وقع فيه. ويعلم الحاسد أن الضرر العائد عليه أشد من الواقع على المحسود، لأن للمعاصي آثار قبيحة مذمومة، فهي مضرة بالقلب والبدن والحسد من أشد أنواع المعاصي ضرراً، لأن الخاطرة تتقلب وسوسة والوسوسة تصير إرادة، والإرادة تقوى فتصير عزيمة، ثم تصير فعلاً ثم تصير صفة لازمة وهيئة ثابتة راسخة، وحينئذ يتعذر الخروج من صفاته القائمة به، لذا يجب على الحاسد أن ينقذ نفسه ويطهرها من هذا المرض العضال بالرجوع إلى الله تعالى واستشعار خطورة هذا المرض.

(1) سورة الأنبياء الآية 35.

(2) سورة الإسراء الآية 21.

وخطوات علاج النفس من الحسد:

- (1) تعظيم الله تعالى وذلك بتعظيم أمره ونهيه أي تعظيم أمره بإتباعه وتعظيم نهيه باجتنابه، وليعلم أن الحسد من الأمور التي نهى عنها الشرع كما تقدم فينبغي للمؤمن أن يجاهد نفسه في تركها، ويجتهد في الدعاء أن يذهب الله عنه هذا المرض.
 - (2) الإيمان بالقضاء والقدر، لأن الإيمان بالقدر والفهم الصحيح له والاعتقاد الراسخ يعود على الأفراد والمجتمعات بمنافع جمة، وله آثار واضحة منها عدم الاعتراض على أحكام الله الشرعية وأقداره الكونية والشعور بالعزة والقناعة وسكون القلب وطمأنينة النفس حتى لا تعترض على نعمة تفضل الله بها على أحد فيتخلص من مرض الحسد.
 - (3) الإكثار من ذكر الله تعالى لأن الذكر يجلي القلوب ويطهر النفوس، ويسمو بالإنسان أن ينظر إلى غيره أو يحسده على نعمة.
- قال ابن القيم: (لا طريق إلى الله تعالى أقرب من العبودية ولا حجاب أغلظ من الدعوى، والعبودية مدارها على قاعدتين هما أصلها: حب كامل وذل تام)⁽¹⁾، فإذا بنى الفرد علاقته مع الله على القاعدتين رأى حكمة الله في كونه وإنه فضل بين عباده بحكمته فلا يحسد أحد على نعمة فضل بها، ويكون راضياً بما رزق وأن ينظر إلى نعمة غيره، يكون نظره من باب الغبطة وليس الحسد.

(1) الوابل الصيد، ابن القيم ص 13.

علاج المحسود والوقاية من الحسد:

إذا أنعم الله تعالى على العبد بنعمة استوجب عليه شكرها، وليعلم أنه لم يحصل عليها بعلمه ولا بجهده، وإنما تفضل الله بها عليه وإن اتخذ أسبابها.

فعلى صاحب النعمة إذا حس بأنه يحسد على نعمته فله أن يدفع حسد الحاسدين ويجعل لنفسه وقاية من شرورهم بإتباع ما يحميه:

(1) بالتوكل على الله تعالى وليعلم أن النافع والضرار والمانع والمعطي هو الله تعالى فيستعيز به من شرور الحاسدين ويلجأ إليه ويتوكل عليه، ويعلم أن الله حسبه لقوله تعالى: (وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا)⁽¹⁾.

(2) أن يكثر من ذكر الله والاستغفار والشكر على النعمة لأن الشكر يحفظ النعمة ويحل البركة فيها، وأن يكثر من الدعاء.

(3) أن يصبر على حسد الحاسدين فلا يقابل الشر بالشر، وإن أظهر الحاسد ما فيه نفسه وسعى إلى إزالة النعمة فعليه أن يستعيز بالله ويحاول الوقاية بالطرق الشرعية وليعذر حاسده لأن كل صاحب نعمة محسود.

قال أبو تمام:

واعذر حسودك فيما خصصت به إن العلا حسن في مثلها⁽²⁾

(1) سورة الطلاق الآية 3.

(2) إتحاف السادة المتقين، الزبيدي 52/8.

الإحسان إلى الحاسد لعل الإحسان يخفف إضراره وشروره، وأن يلتزم الرقية الشرعية إن أصابته عين الحاسد، لأن النبي ﷺ قد أمرنا بالاسترقاء من شرور العين، والحسد بعد أن بين أن العين حق كما تقدم في الحديث، والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً، ومن ذلك الحديث المروي عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: (كان إذا اشتكى رسول الله ﷺ رماه جبريل وقال باسم الله يبريك ومن كل داء يشفيك ومن شر حاسد إذا حسد وشر كل ذي عين)⁽¹⁾.

وثبت أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين بعد النبي ﷺ كانوا يسترقون ويرقي بعضهم بعضاً، ففي البخاري عن عبدالعزيز بن حصين قال: (دخلت أنا وثابت على أنس بن مالك، فقال ثابت: "يا أبا حمزة اشتكيت -يشكو ثابت إنه مريض-، فقال أنس: ألا أريقك برقية رسول الله ﷺ: "اللهم رب الناس مذهب البأس أشف أنت الشافي لا شافي إلا أنت شفاء لا يغادر سقماً")⁽²⁾.

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، 39- كتاب السلام، 16 باب الطب والمرض والرقى، 1717/4، حديث 2185.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، 78 كتاب المرضى، 20- باب داء العائد للمريض، 217/5، حديث رقم 5351.

الختام

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على رسول الله الأمين وعلى آله وصحبه والتابعين.

وبعد:

فإن الشكر الجزيل لله تعالى على توفيقه لإكمال هذا البحث الذي عرضت فيه هذا الموضوع من خلال نصوص القرآن الكريم والسنة والمشرقة، وأقوال أئمة العلم، حتى تبلور هذا الموضوع بصورة جلية، واتضح معالمه لمن يريد السلامة من هذا الداء الخطير، وأن يعيش نقي القلب، سليم الصدر، يحب الخير للناس كما يحبه لنفسه.

وقد توصل الباحث إلى نتائج من أهمها:

1. أن الإنسان مجبول على حب النعم وطلب الاستزادة منها، فيجب عليه أن يزكي نفسه من النظر بعين الحسد الخبيثة التي تتمنى زوال النعمة عن صاحبها.
2. الحسد نوعان محمود ومذموم، والمحمود يسمى الغبطة وقد يطلق عليها لفظ الحسد مجازاً.
3. الحسد محرم شرعاً والأدلة على تحريمه متواترة من الكتاب والسنة.

4. لفظ الحسد في القرآن الكريم ورد صراحة في أربع مواضع في سورة البقرة، والنساء، والفتح، والفلق.
5. الحسد من أمراض القلوب التي تحتاج إلى علاج ومدافعة.
6. علاج الحسد في القرآن الكريم والسنة المطهرة مشروع بالتوكل وبالرقية الشرعية والدعاء والإنفاق والإكثار من ذكر الله تعالى.
7. قال العلماء: الحاسد لا يضر إلا إذا أظهر حسده بفعل أو قول وذلك بأن يحمله حسده على إيقاع الشر بالمحسود، فيتتبع مساوئه، ويطلب عثراته.
8. الحسد أول ذنب عصي الله به في السماء وأول ذنب عصي الله به في الأرض. فحسد السماء: حسد إبليس آدم، وحسد الأرض حسد قابيل هابيل، والحاسد ممقوض، مطرود، ملعون.
9. قال العلماء: لا يضر الحسد والسحر والعين ونحو ذلك بذاته، وإنما بفعل الله وتأثيره، وينسب الأثر إلى هذه الأشياء في الظاهر فقط، قال تعالى عن السحر: (مَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ)⁽¹⁾ وبالرغم من انعدام تأثير هذه الأشياء في

(1) سورة البقرة الآية 102.

الحقيقة كالأمراض المعدية، الطاعون والسل وغيره، فإنه يطلب شرعاً الحذر والاحتياط، وتجنب هذه الأسباب بقدر الإمكان، عملاً بفعل عمر والصحابة رضوان الله عليهم بطاعون عمواس. والأمر باتقاء العين والفرار من المجزوم⁽¹⁾.

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَعْفِينَا وَالمُسْلِمِينَ مِنَ المَقْرِ والمَسْرِ والكِبَرِ والرياء، آمين
وآخر وعولنا أن الحمد لله رب العالمين.

(1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي 259/2.